برُّ الوالدين وعقوقهما في حضارة العراق القديم

م.م سناء عويد كاظم
جامعة واسط / كلية التربية

ملخص البحث

يعنى هذا البحث بدراسة موضوع برُّ الوالدين وعقوقهما في الاسرة العراقية القديمة من خلال النصوص الادبية والقانونية والاقتصادية حيث حرص العراقيون القدامى على الاهتمام بتنشئة وتربية ابنائهم منذ سن مبكرة على المبادئ والقيم المثلى والاخلاق الحسنة كما كان يتوجب على الابناء واجبات وحقوق اتجاه ابائهم وذلك باحترامهم وطاعتهم ومساعدتهم في اعمالهم والقيام بالمراسيم الجنائزية بعد وفاتهم وقد اهتمت الشرائع العراقية القديمة بالاسرة العراقية ونضمت الضوابط والقواعد لأشكال العلاقة بين الاباء وابنائهم وقد حث الادب العراقي القديم الابناء على بر ابائهم وعد ذلك من الفضائل الحميدة ونظر الى الابناء العاقين بازدراء وعد ذلك من الاعمال المشينة والمنبوذة في المجتمع انذاك.

Abstrad

The Honoring and Ingratitude of parents in the Aneient Iraqi Cirization

The research at studying the subject of the honoring and the Ingratitude of the parents in the aneint Iraqi families through the economical,legal and literay text .Ancient Iraqi were ov Overcareful to take care of upbrining and training their children from an early age on ideal principles and good values and manners.the children were bound by duties and rights towards their parents by respecting, obeying and helping them in their works and performing the funeral service when they die. The Iraqi ancient legislations took care of the Iraqi families and arranged the laws and rules of the relationship forms among parents and their children. The ancient Iraqi literatnreurged children to honor their parents and considered that of the good virtues and looked at ungrateful children with depreciation and considered that as one of the dirty and castoff works in the society that time.

المقدمة

تميزت الحياة الأسرية والاجتماعية في العراق القديم بأنها كانت مبنية على أسس متينة وراسخة استمدتها من العادات والتقاليد والقيم الأخلاقية التي عرف بها إفراد المجتمع العراقي القديم مثل الفضيلة ، وبر الوالدين ، والصدق ، وأداء الأمانة ، والاحترام المتبادل بين إفراد الأسرة والمجتمع ومما يميزها ايضاً احترام الأبوين من قبل أبنائهما وتنفيذ رغباتهما وطاعة أوامرهما والتي كانت تعد بمثابة أوامر الهية مقدسة ولأهمية موضوع بر الوالدين وعقوقهما في حضارة العراق القديم فان هذا البحث يهدف إلى تسليط الضوء على الاسرة العراقية بصورة عامة والعلاقة مابين الإباء وأبنائهما بصورة خاصة وتبيان الحقوق والواجبات المترتبة عليهم وكيفية معاملة الابناء لابائهم في حياتهم او عند بلوغهم سن متقدمه من العمر وكذلك اثناء وفاتهم او بعدها من خلال تقديم المراسيم والطقوس الجنائزية كما تم توزيع موضوع البحث الى اربعة محاور رئيسية المحور الاول ركز على دراسة موضوع تربية الابناء واعدادهم منذ سن مبكرة حتى يكونوا افراد صالحين لأسرهم والمجتمع والمحور الثاني بين دراسة واجبات الابناء الدينية والاقتصادية اتجاه ابائهم اما المحور الثالث: تناول دراسة العلاقة بينّ الاباء وابنائهم والحقوق والواجبات القانونية المفروضة على الاباء والابناء في ضوء الشرائع العراقية القديمة، والمحور الرابع دراسة موضوع بر الوالدين وعقوقهما في الأدب العراقي القديم من خلال الأساطير والنصوص الأدبية والحكم والأمثال وقد اعتمد البحث على مجموعة من المصادر الخاصة بموضوع البحث ومنها الكتب التي تناولت دراسة الاسرة العراقية والاحوال الشخصية ، واعتمد كتاب نظام العائلة في العصر البابلي للدكتور رضا الهاشمي كونه تناول موضوع العائلة العراقية بصورة مفصلة وكذلك كتاب الشرائع العراقية للدكتور فوزي رشيد كمصدر اساسي لاقتباس مواد القوانين التي تخص موضوع البحث

أولاً : التربية ودورها في بر الوالدين وعقوقهما

إنّ الاهتمام بتربية الأبناء بوصفهم ركيزة أساسية في بناء المجتمع ، وذلك لما للتربية من أهمية في بر الوالدين وطاعتهما وإعداد جيل قوي يؤمن بالمبادئ والقيم الفاضلة التي كانت مترسخة في أفراد المجتمع العراقي القديم[١]، وكان الاباء يحرصون على تعليم أبنائهم الفضائل الدينية والخلقية مثل مبادئ حسن المعاملة و اللياقة و الاداب كما تحثهم على التمسك بالكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية والإنسانية الحسنة[٢].

لقد أدرك العراقيون القدامى أهمية التربية في سن مبكرة بالنسبة للأبناء لان الطفل في هكذا مرحلة يسهل السيطرة على تصرفاته وتوجيهه بصورة صحيحة وسليمة أما اذا مابلغ واشتد عوده فعندئذ يصعب قيادته وإخضاع تصرفاته وسلوكه ولا ينفع بعد ذلك الندم ويوضح النص الاتي ما ذهبنا اليه **"يأبني ، اخضع ابنك وهو بعد طفل قبل إنّ يفوتك قوة وشدة ، فيتمرد عليك وتخجل من كل اعمال السوء التي يعملها "**[٣]، ولحب الإباء وتعلقهم بأبنائهم والاهتمام بشؤونهم فقد حرصوا على متابعة كل صغيرة وكبيرة تخص ابنائهم **"لن اكون رجل اذا لم اراقب ابني"** [٤] ، من خلال هذا (المثل) يتضح لنا ان الاب مارس دور الرقيب على أبنائه منذ نشأتهم الاولى وضبط تصرفاتهم وعدم تركهم او اهمالهم حيث يؤدي هذا الى نتائج سلبية على الابناء خاصةً وهم في مثل هذه المرحلة يكونوا بأمس الحاجه الى الحنان والعطف من قبل ابويهم وحتى يصبح الابن ناضجا باراً بوالديه وذا فائدة للمجتمع وكذلك يستطيع ان يتحمل المسؤولية في المستقبل ومن خصائص الاسرة العراقية القديمة هو العطف والحنان للأبوين وتضحياتهما من اجل ابنائهما والمخاطرة بانفسهم من اجل ان لا يتعرض ابنائهم إلى مكروه أو سوء **"البقرة تسير في المستنقع إلا أنّها تترك العجل يسير فوق الارض اليابسة "**[٥] ، وهذه الحكمة لها فعل مؤثر وتشبيه مجازي واضح اذ صورت الحنان في المحافظة على الوليد من الاذى والتهلكة وابعاده من المستنقع الى الارض اليابسة وهذه التضحية ونكران الذات هي سمة الابوين والحب الغريزي مابين الاباء وابنائهم [٦] ، ومن الامثلة على تضحية الوالدين من اجل ابنائهم وتقديم مصلحة الابناء على مصلحتهم الشخصية فقد جاء نص من العهد البابلي القديم يتحدث عن ارملة توفى زوجها وترك وراءه اطفالاً صغاراً اذ فضلت هذه الأرملة الاهتمام بمستقبل اولادها وتربيتهم تربية صحيحة والتضحية من اجلهم على الزواج مرة ثانية اذ جاء في نص **"إن أرملة تدعى (ummu- tabat) أبنة Naba-bel- usar زوجة samas-uballit كاهن في معبدSamas الذي توفى تاركاً أبنائه الصغار وهم Samas eti وhar-Ardi أقسمت الأم BEL- uballit كاهن معبدSippar قائلة : لن أتزوج مرة أخرى ، سأعيش مع أبنائي ، وسأربي أبنائي حتى يبلغوا مبلغ الرجال "** [٧].

كما كان الاباء يحرصون على تربية ابنائهم تربية دينية صحيحة وحثهم على الصلاة والتسبيح للالهة واطاعتها بكل جوارحهم **"على الإنسان ان يسبح بعظمة الهه وعلى الشاب ان يطيع بكل جوارحه أمر ألهه"**[٨]. ونجد هذا واضحا في صلاة للملك البابلي نبونئيد[٩] (٥٥٥-٥٣٩ق م) موجهة لاله القمر طالبا منه ان يضع مخافته في قلب ابنه حتى لا يرتكب خطيئة ، اي انه يرغب ان يكون ابنه متدينا يخاف الالهة ويطيعها وبذلك يبتعد عن الخطيئة والذنوب وان يهبه هو وابنه الحياة المديدة جزاء لتقواهما وفضيلتهما اذ ذكر: **"خلصني من الخطيئة ضد الإله الجليل وامنحني حياة طويلة وبالنسبة الى ولدي بل - سكار - اتسور (Bel-Skar-Outsor) ولدي البكر الذي خرج من قلبي ،ضع مخافة الوهيتك الجليلة في قلبه فلا يرتكب الخطيئة وليشبع من متع الدنيا "** [١٠] .

وعندما يتجاوز الابناء سن الطفولة يبدأ الوالدين باعدادهم للحياة اذ كان الفقراء منهم يلجأون للعمل منذ الصغر ولم تكن الاسر الفقيرة قادرة على دفع تكاليف التعليم فيما يرسل المتمكنون منهم ابنائهم الى المدارس في المعابد أو المدارس الخاصة لتعليمهم القراءة والكتابة والحساب [١١] ، اي ان التعليم كان يقتصر على فئة معينة دون غيرها [١٢] ، وكان لتعلم الكتابة اهمية كبيرة عند العراقيين القدماء خاصة وان اختراع الكتابة يعد من اهم المحصلات الحضارية الكبرى التي تم تحقيقها من قبل الانسان العراقي القديم [١٣] ، **" فن الكتابة أبو العلماء وأم الخطابة "** [١٤] ، لذا فقد اوجبوا على ابنائهم ضرورة ان يتقنوا القراءة والكتابة ويعرفوا كل شئ وفضلوا المتعلم على الجاهل **" انك كاتب ولكنك لاتعرف حتى كتابة اسمك فيجب عليك ان تصفع وجهك بيدك"**[١٥].

ويتابع الاب سير تعليم ابنه ويفرح اذا ما ادى فروضه وواجباته المدرسية عند عودته الى البيت **"ذهبت الى بيت الالواح... ، قرات لوحي اكلت غذائي ،هيئات لوحي (الجديد) كتبت (و) اكملته... ، ولما صرف بيت الالواح ذهبت الى البيت، دخلت بيت (ي)، كان ابي جالسا فيه ... قرات لوحي له وسر به"**[١٦] ، وفي نص اخر يقوم الاب بنصيحة ابنه ويحذره عند ذهابه للمدرسة ان لايتسكع بالشوارع أو الساحات العامة ولايزيغ النظر هنا وهناك وعليه ان يحترم ويعظم معلمه حتى يستطيع في المقابل ان يحصل على احترام معلمه **" انتبه ، كن رجلا ، ولاتقف في الميدان العام أو تتسكع في الشارع . واذا مشيت في الطريق لاتنظر هنا وهناك . كن متواضعا واظهر الخوف امام المشرف عليك . فاذا أظهرت الخوف فإن المشرف سيحبك "** [١٧] ، ونلاحظ ان هذا الابن كان عاقا لابيه على الرغم من كل الاعمال التي قام بها من اجله وسببّ له الحزن والتعاسة مما اوصله الى نقطة الهلاك حيث يذكر ذلك **"لأن قلبي قد امتلأ بالمتاعب منك ، ابتعدت عنك ، ولم أعر اهتماماً إلى مخاوفك وتذمرك . كنت حانقا عليك - نعم كنت حانقا عليك . ولأنك لاتنظر لإنسانيتك، اختطفت قلبي كما لو اختطفه ريح شريرة. وإن تذمرك وضع نهايتي ، لقد أوصلتني الى نقطة الهلاك "** [١٨].

ثانياً : واجبات الابناء اتجاه ابائهم

١- الواجبات الدينية: من اهم الامور التي تمسك بها العراقيون القدماء ولها اهمية كبيرة بالنسبة لهم هي اطاعة الاوامر الالهية واقامة الطقوس وتقديم القرابين الدينية[١٩]، وكانت سمة التدين واضحة عند العراقيين الاوائل ونلاحظ ذلك من النصوص والكتابات المسمارية والادبية والمخلفات الفنية الكثيرة التي وجدت في المناطق الاثارية المتعددة في العراق، لذا فقد حرص العراقيون ومنذ القدم على تربية ابنائهم تربية دينية صحيحة لرغبة الاباء بان يكون ابناؤهم متدينون وعلى سلوك قويم وايضاً لاقامة المراسيم والطقوس الدينية لهم بعد مماتهم والذهاب الى العالم الاسفل وهي مراسيم دينية بالدرجة الاساس، والتي كانت لها اهمية كبيرة عند سكان العراق القديم فكان دائما مايحثون ابناءهم على اداء الصلاة والتضرع للالهة كل يوم ،لانها تكثر الحسنات وتغفر الذنوب ونلاحظ ذلك بوضوح من خلال النص التالي:

"اعبد الهك كل يوم
صلي وابتهل له يوميا
وسوف يجازيك جزاء حسنا
فالتبجيل يكثر الحسنات
والصلاة تغفر الذنوب"[٢٠].

ومن اهم الواجبات المتعين على الابناء القيام بها اتجاه ابائهم بعد الموت وذهابهم الى العالم الاسفل :

أ - اقامة مراسيم الدفن: كانت فلسفة الموت عند العراقيين القدامى تستند على ان الموت هو نهاية الانسان و لايوجد مفر منه ، والالهة وحدها فقط تحضى بالخلود والبقاء [٢١] ، فبعد ان يبلغ الاب سن الشيخوخة يقوم بكتابة وصيته وتقسيم

تركته بين ابنائه واسرته ويهيئ المكان والقبر الذي سيدفن فيه حيث جاء في نص **"ايامه ستطول ، انه سيدفن في الضريح الذي هيائه بنفسه"**[٢٢] ، وكانت جثث الموتى تلف في الاكفان وحصران القصب وخوص النخيل[٢٣]، وغالبا ما يتم الدفن تحت ارضيات المساكن او في المقابر الموجودة بالقرب من المدن و المعنين باقامة المراسيم والطقوس الجنائزية للميت : هم ابناؤهم وزوجاتهم واخوتهم واقرباؤهم الموثوقون الصلة[٢٤] ، وبعد دفن جسد الميت فان روحه وسكينتها واستقرارها وعدم ازعاجها في العالم الاسفل تعتمد على بقاء الجسد مستقرا في موضعه وعدم نبشه او تحريك عظامه[٢٥] ، وخلال عملية الدفن يتم سكب الزيت والعطور على الميت في قبره حيث تستمر هذه الطقوس على ارواح الموتي مادام هناك للموتى ابناء[٢٦] ، كما ان اهل الميت يقومون اثناء مراسيم الدفن يوضع معه بعض الحاجيات التي كان يحبها حيث يوجد نص من العصر الاشوري الحديث (٩١١ -٦١٢ ق م) يعود لاحد الملوك الاشوريين قام بمراسيم الدفن التي اقيمت عند موت ابيه الملك حيث يظهر مدى احترامه وحبه لابيه وحرصه على تنفيذ رغباته اذ يذكر:

"لقد مسحته بالزيت الملكي ؛ ليستقر جيدا
في القبر،المكان الخفي
وفي المرج الملكي
جعلته يرقد بسلام
وختمت فتحتة التابوت الحجري بالبرونز الصلب
وثبت رقيته الخاصة(ضد اللصوص ،والأرواح الشريرة)
وعرضت امام الإله شمس اواني
الذهب والفضة ، وكل مستلزمات القبر واوسمته الملكية
التي يحبها ،ثم وضعت كل مستلزمات القبر واوسمته الملكية
وقدمت القرابين الى الحكام السماوين"[٢٧].

اما الذين لم تدفن اجسادهم ولم تنل معاملة مناسبة بعد موتها فعلى الرغم انها تنزل الى العالم الاسفل الا انها تبقى قلقة ومحملة بالحقد على البشر الاحياء وتنتهز الفرصة للخروج الى عالم الاحياء بشكل اشباح وتلحق الاذى بهم وتسبب الامراض والكوارث والكوابيس انتقاما لقدرها السيء[٢٨] ، ونلاحظ ذلك في اسطورة انكيدو وكلكامش والعالم السفلي:

"هل رايت الذي تركت جثته في العراء؟
نعم لقد رايت ، ان روحه لاتجد مستقراً في العالم الاسفل" [٢٩].

وبالنسبة للابناء ومدى تفاوت برهم لابائهم او مدى عقوقهم لهم فهناك فرق واضح بين من قام بتخليد ذكرى ابيه وامه بعد مماتهم من خلال قيامه بالاعمال الدينية في اجراء المراسيم الجنائزية وطقوس الدفن وبين من اهمل جثة ابويه ولم يقم لهم العزاء وطقوس الدفن وبقيت جثثهم مرمية على الارض من غير اهتمام مما جعلهم يواجهون مصير سيء ولايجدون راحة في العالم الاسفل [٣٠] .

ب ـ حق اقامة مراسيم الحداد: كانت مراسيم الحداد تبدا بعد موت الشخص وقد تستمر بضعة ايام[٣١] ، ويعم الحزن ابناء الميت واقرباءه والالم يعتصر نفوسهم والحسرة تملاء صدورهم وكانت طريقة اعلان الحداد بحلق الشعر او تركه ينمو طويلاً والنوم على القير في العراء وعدم لبس الزينة ولبس ملابس رثة وقديمة وكذلك يفرك الجسم بالفحم او الطين[٣٢] ، كما وينشرون الطين على رؤوسهم طيلة ايام الحداد ويرتدون ثياب خاصة بهذه المناسبة وكان الحداد عاملا في تخفيف الحزن على اهل الميت ويضمن عدم انقطاع ذكر الميت مما يوحي بالطمأنينة للفرد ازاء الموت كما ان

المعتقد السائد عند سكان العراق القديم ان دموع وبكاء الاحياء يمكن تعطي للموتى بعض الراحة [٣٣] ، ولذا فان الابناء ملزمون بالبكاء على ابائهم بعد موتهم [٣٤] ، ونلاحظ ذلك من خلال مرثية سومرية تتحدث عن ابن قد قتل ابيه في احد المعارك وبعد وصول الخبر اليه والذي كان مسافرا في مكان بعيد قام الابن بارتداء ملابس خاصة بالحداد والبكاء على ابيه والقاء نفسه بالوحل كتعبير عن حزنه وألمه على فراق ابيه :

"... لقد مات العلّامة في((نفَر)) (من جروح اصابته) في هجوم ؟

وصل (نبأ) هذا الامر الى ابنه وهو على سفر بعيد

وكابن لم ينفصل(؟) عن ابيه ،

لم يرجع (؟) الرداء(؟) الذي ارسل (.) اليه ،

لقد ذرف الابن الدموع ، وألقى بنفسه في الرغام وأنشد من اجله ((ترتيلة شعر)) "[٣٥] .

كما كان يتم توجيه دعوى الى سكان المنطقة اوسكان المناطق المجاور ليشاركوا في مراسيم الحداد ونجد هذا خلال مراسيم الحداد التي اقامها الملك نابونئيد على روح والدته (ادد-كوبي) فبعد موتها تم القيام بجمع سكان بابل وسكان المقاطعات البعيدة ليشاركوا بمراسيم الحداد وقام الناس بالنواح ونثر التراب فوق رؤوسهم وظلوا سبعة ايام من الحزن ومطاطئي الرؤوس وبملابس بسيطة غير مزركشة [٣٦] .

ج ــ **تقديم القرابين والنذور**: كانت نظرة سكان العراق القدامى سوداوية وقاتمة للحياة مابعد الموت او في العالم الاسفل اذ عدّوا ان الحياة هناك لاتختلف عن الحياة الدنيا بل قد تكون اسوء بكثير فهم يقضون وجودا متثاقلا في موضع مظلم (٣٧) ففي اسطورة نزول الاله عشتار الى العام الاسفل نستطيع تصور المعاناة والعذاب لسكان العالم الاسفل: **"ان طعامهم هو من الطين وان غذاءهم هو التراب، لايرون النور ابداً فهم يسكنون في الليل..."**[٣٨].

وكان الموتى لا يتحملون وزر خطاياهم معهم الى العالم السفلي بل ابنائهم هم من يتحمل ذلك ولم يكن وجودهم هناك يتاثر بما اقترفوه في حياتهم وانما بحسب مكانتهم في عالم الاحياء وبما يقدمه ابناءهم واسرتهم من القرابين والنذور[٣٩] ، وللدافع الديني دور كبير في انجاب الابناء فكثرة الابناء في الحياة الدنيا كان يعني حسب المعتقدات العراقية القديمة ضمان مكانة مرموقة قي العالم الاسفل بعد الممات [٤٠] ولذلك فان درجة ارتياح روح الميت كانت تزداد بازدياد عدد ابنائه ويظهر هذا الاعتقاد واضحا في أسطورة انكيدو و كلكامش والعالم السفلي:

"هل رايت الذي لم يكن له ولد ؟ اجل لقد رايت...(النص مخروم)

هل رايت ، الذي كان له ولد واحد ؟ اجل رايت ، انه ممد اسفل الجدار ويبكي بمرارة

وهل رايت الذي كان له ولدان ؟ اجل رايت ، انه يقيم في بناء من الاجر وياكل الخبز

هل رايت الذي كان له ثلاثة اولاد ؟ اجل رايت انه يشرب الماء من قربة ماء((العمق))

وهل رايت الذي كان له اربعة اولاد؟ اجل رايت ....وهو مسرور القلب

هل رايت الذي كان له خمسة اولاد؟ اجل رايت ، لقد كان مبسوط اليد مثل كاتب طيب ويسمح له بدخول القصر"[٤١].

ولقد كانت القرابين الغذائية المقدمة لارواح الموتى في قبورهم تتكون من مختلف اصناف الاطعمة من اللحوم المسمنة مثل لحوم الغزلان والاغنام والماعز والاسماك والخنازير[٤٢] ، وهذه الشعائر الجنائزية تهدف بالدرجة الاساس الى ارضاء الالهة في العالم الاسفل ورضى الالهة يعني انها سوف تحسن معاملة روح الميت [٤٣] ، واذا لم يتم تقديم قرابين الشراب والطعام فان روح الميت سوف تخرج الى عالم الاحياء وتاكل بقايا الفضلات ونلاحظ هذا من خلال اسطورة انكيدو وكلكامش والعالم السفلي:

"...ذاك الذي، لاتجد روحه من يقدم عنها القرابين

هل رايته ؟ نعم رايته، انه ياكل فضلات الطعام ونفايات الصحون التي نلقيها في الشارع..."[٤٤]

د ـ حق زيارة القبر واداء التراتيل وسكب الماء: بعد دفن الميت يقوم ابناءه مابين فترة واخرى بزيارة القبر وقراءة بعض التراتيل على روحه وفي احيان اخرى كانوا يقومون بتكليف بعض الاشخاص والكهنة الموكل اليهم اداء تلك الشعائر[٤٥]، حيث يقومون بقراءة التراتيل وتلاوة التعاويذ التي تعمل على اراحة روح الميت في العالم الاسفل كما كان هناك كهنة خاصون يقومون بمهام أداء خدمات لذوي الميت وذلك بقراءة التراتيل والندب ورثاء الأموات [٤٦] ، وكان يعتقد ان تكريم الموتى وقراءة المراثي لأرواحهم من قبل اسرهم أو التواصل معهم كان من شأنه ان يعود بالراحة على أرواح الموتى ، وكان الموتى في العالم الأسفل يسقون مياهاً باردة من رقاق الماء وتلك تكون مسؤولية الابن الأكبر الذي من الواجب عليه وبين فترة وأخرى بسكب الماء على قبر ابيه [٤٧] ، كما كان حق على الأبناء الباقين اثناء زيارة القبر أنّ يقوموا بسكب الماء على قبر ابيهم وتتم عملية سكب الماء للميت عن طريق انابيب فخارية تنزل من سطح الارض الى داخل القبر[٤٨] ، ولأهمية سكب الماء فقد ورد في احد التعاويذ شخص يتضرع الى أرواح الموتى جاء فيها:

"ياارواح عائلتي ، يا ارواح امي و ابي وأجدادي و اخي و اختي و كل اقربائي ،

طالما انت مستقرة في العالم الأسفل كنت اقدم اليك القرابين الجنائزية واسكب لك الماء...."[٤٩].

ويوجد نص اخر فيه اشارة الى اهمية تقديم الماء المسكوب لارواح الموتى عن طريق دعاء :

" في العلى عسى ان يطيب اسمه وفي العالم الاسفل عسى ان تشرب روحه الماء الزكي"[٥٠].

٢ـ **الواجبات الاقتصادية**: ومن اهم الواجبات الاقتصادية المفروضة على الابناء اتجاه ابائهم :

أ ـ حق مساعدة ابائهم والعمل معهم بنفس المهنة او الحرفة: كان للجانب الاقتصادي دورا كبيرا في ترغيب الاسر بالاكثار من انجاب الابناء و لاسيما الاسر الفقيرة وغير المتمكنة ماديا، لما للاولاد من اهمية اقتصادية كبيرة في ادارة وتمشية بعض شؤونها الى جانب الاباء [٥١] ، والأسر الفقيرة تقوم بارسال ابنائها في سن مبكرة للمساعدة كسب سبل العيش وكان الاولاد خاصته الذكور يشكلون عوناً لهم ويوفرون دخلاً ماليا مهما ويتم تشغيلهم والانتفاع من اعمالهم في مختلف المجالات كالزراعة والتجارة والصناعة اذ باستطاعة الابناء ان يوفروا دخلا ماليا مهما لاسرهم اذ جاء في نص مسماري **"ان الاب يجمع الفضة من عمل اولاده"**[٥٢] ، فكثرة الابناء تجعل الجميع يتعاونون على زيادة موارد العائلة وتحسين حالتها المعيشية كما ان الاستهلاك الكبير يكون مضرا لها حيث يذكر المثل ما نصه: **"عندما تضاف يد على يد فان بيت الانسان يبنى ، واذا اضيف فم الى فم فان بيت الانسان يحطم"**[٥٣] .

وان جميع افراد العائلة خاضعون لسيطرة الاب الذي هو المسيطر والمتحكم بمصير اسرته وكل ذريته تحت امرته [٥٤] ، واذا مارس احدهم عملا فلابد ان تودع وارداته لدى الاب الذي هو مسؤول عن الانفاق على العائلة وهذا مايفسر لنا سبب الزام الاب بدفع مهور الزواج لابنائه [٥٥] ،

وكذلك للوالد حق الافادة من عمل اولاده ونشاطهم اذا كانوا يسكنون معه في البيت نفسه او في بيت اخر[٥٦] ، وغالبا ماكان الابناء الصغار يصاحبون آبائهم وامهاتهم الى اماكن العمل اذ توجد هناك الكثير من النصوص تذكر مصاحبة النساء لابنائهن في العمل والاستفادة منهم اقتصاديا، فقد ذكر نص من مدينة لكش [٥٧] ، بان بعض هؤلاء الابناء كانوا يتقاضون اجورا جراء خدماتهم في ورش العمل وتذكر كمية عشر (كغم) من الشعير مدفوعة اجرا لكل منهم [٥٨] ، ويحق لام الابناء الذين يعملون معها في المجموعة ان تحصل على اجرتهم [٥٩] ، وكما جاء في قائمة تحتوي على اسماء عمال يبلغ عددهم اربعة وعشرين عاملا هم وابنائهم يعملون بصفة متواصلة طيلة ايام السنة تحت اشراف احد

المراقبين[٦٠] . وقد حرص حرفيوا العراق القديم على اعداد ابنائهم وتدريبهم على حرفهم كل حسب تخصصه أو صنعته ، وذلك بتمرين الصبي على العمل من اجل ان يكون مؤهلا للحرفة وبعد ذلك يكون قادرا على ان يخلف اباه في الحرفة التي تعلمها بعد ان يبلغ اباه سن الشيخوخة [٦١] كما ان البنات كان يقومن بمساعدة امهاتهن في ادارة اعمال المنزل مثل طبخ الطعام وغسل الملابس وتنظيف البيت وغزل الصوف وغيرها [٦٢] . **ب ـ حق ضمان تسديد ديون ابائهم ورفع الرهن عنهم :** بسبب الحالة المعيشية الصعبة فقد يضطر الاباء والامهات الى بيع او رهن اولادهم عند صاحب الدين في حال عدم استطاعتهم من تسديده [٦٣] ، اذ يذكر المثل **" يحصل القوي على عيشه بقوة ساعده ولكن الضعيف يبيع اولاده "** [٦٤] ورهن الابناء من اجل تسديد الديون التي بذمتهم كان معروفاً اذ كان يتم عقد اتفاق بين الاب والمدين فيما اذا عجز من تسديد الدين المترتب عليه في الموعد المحدد عندها يقوم بتقديم احد ابنائه رهينة والذي يقوم بالعمل عند الدائن حتى يتم تسديد الدين كاملا حيث ورد في في نص سومري ان امرأة قد **" استدانت ١٠سيلا (من الحبوب) مقابل رهن اطفالها"**[٦٥] . اما في ما يخص بيع الابناء فيوجد في نص عقد ان والدين وقعا في ضائقة مالية مما اضطرهم الى بيع ابنهما الى تاجر مقابل سعر بخس اذ جاء في نص العقد :

" اشترى بلمونمشة من الاب بوزور- نوموشدا والام تريبتوم
ابنهما سن ـ ماجير بسعر١/٣مينة فضة بالتمام والكمال" [٦٦]

كما ذكر نص من العصر البابلي الحديث ان ولداً بقى لمدة عشر سنوات في خدمة كاهنتين وفاء للدين الذي بذمة والده [٦٧] ، ومن الامثلة التي تدل على مدى بر الابن لابيه والتضحية من اجله واخراجه من الرهن واعطائه الحرية فقد جاء نص من العصر البابلي اذ قام ببيع نفسه الى الكاهن الاعظم "اينو"(enum priest) معطي تبريرا لعمله هذا انه عاجز عن تسديد سبعة عشر شيقلا من الفضة كان استدانها لتحرير والده [٦٨] ، كما ان الظروف المالية الصعبة التي يمر بها الاباء من فقر وحاجة وكذلك تراكم الديون عليهم كانوا يضطرون الى تزويج بناتهم في سن مبكر سعياً للحصول على مهورهن ويقوم الاب باخذ مهر زواج ابنته مقدماً ليتمكن من خلاله من تسديد الديون التي بذمته وتبقى الفتاة في بيت ابيها الى ان تصل سن البلوغ ومن ثم تذهب الى بيت زوجها [٦٩] .

ثالثا: بر الوالدين وعقوقهما في ضوء الشرائع العراقية القديمة

١ـ الابناء من صلب ابيهم: اهتمت الشرائع العراقية القديمة بتنظيم الحياة الاسرية وافردت نصوص ومواد قانونية نظمت فيها العلاقة مابين الأباء وأبنائهم وبينت لكل منهم حقوقه وواجباته اتجاه الاخر وفرضت على الطرفين ضرورة الالتزام بها وتنفيذ قرارتها التي خصصتها في المواد القانونية في الشرائع التي أصدرتها.والمشرعون العراقيون القدامى كانوا يعدون الالهة مصدراً لهذه التشريعات والواقع انها بلغت من الكمال حدا نستطيع القول انها لم تكن من صنع الالهة كما يدعون وانما كانت نتيجة ابداع ، وجهد ، وتفكير يستحق كل الاعجاب والتقدير[٧٠] ، وكان احترام الأبوين وطاعتهما من اهم الواجبات المترتبة على الابناء اتجاه أبائهم وهذا الاحترام والتوقير لم يكن مجرد واجب أخلاقي وحسب بل كان يعد واجب قانوني مفروضاً عليهم[٧١] وكان على الأبناء حب الأبوين واحترامهما وطاعتهما ومساعدتهما في اعمالهما وكذالك كان عليهم رعايتهما عند الكبر والعجز والقيام بتقديم الاضاحي عند وفاتهما [٧٢] ، كما ان ملوك العراق القديم كانت لهم مساهمات واهتمامات بتوضيح العلاقة مابين الأباء وأبنائهم وتثبيت ذلك في نصوص المواد القانونية التي احتوتها شرائعهم التي أصدروها حيث جاء في مقدمة شريعة لبت عشتار **" وبتوجيه جيد تركت الوالد يساعد اولاده وجعلت الابناء يساعدون ابائهم وتركت الاباء لا يتخلون عن ابنائهم وجعلت الابناء لايتخلون عن ابائهم"** [٧٣] ، ومثلما فرضت

الشرائع حقوق والتزامات للابناء على ابائهم فرضت واجبات والتزامات على الابناء اتجاه ابائهم والزمتهم بالاحترام والطاعة وتنفيذ اوامرهم وعدم عصيانها وحرمت على الابناء اي اساءه او اعتداء باللفظ او بالفعل وفي حالة حدوث ذلك فقد اصدرت احكاماً قضائية رادعة وقاسية بحقهم ايماناً منها على ارساء المبادى والقيم الاخلاقية في المجتمع العراقي القديم ، وحتى في حالة وفاة الاب فقد الزمت الابناء بتنفيذ وصيته وبدون أي مماطلة كما جاء في نص مادة: **"اذا اهدى والد ولده المفضل اثناء حياته (اي قبل ان يتوفى الاب) هدية وختم له عقد بذلك ، فيحق للورثة اقتسام عقار أبيهم بعد وفاته فقط ، ولا يحق لهم مشاركته في الهدية التي سبق له ان منحها اياه، وعليهم ان لايطبخوا ؟ كلمة ابيهم بالماء (اي عليهم ان ينفذوا وصية ابيهم)** " [٧٤] ، نلاحظ من خلال هذه المادة ان الاب قد خصص هدية لابنه المفضل الذي ربما يكون هو اقرب ابناءه الى قلبه وابرهم اليه واستطاع ان يكون محل احترام وتقدير ابيه من خلال اطاعة ابويه والاهتمام بهم وعدم اثارة غضبهم، لذا فقد خصه الاب بهدية من دون بقية اخوته الاخرين ، كما ان المشرع كان حريصا على تنفيذ وصية الاب وحدد لكل فرد في العائلة حصته التي من ضمنها حصة الام والزم بقية الاخوة بالالتزام بوصية ابيهم بعد وفاته ، وعلى الرغم من ان تلك المادة لم تشر الى ان الولد المفضل هو الابن الاكبر إلا أنّ جميع الشواهد التاريخية تشير بوضوح الى شيوع عادة تفضيل الابن الاكبر في كثير من شؤون العائلة، بسبب انه الاكبر سنا و الارشد عقلا وتصرفا ، وبما انه بموقع المسؤولية فهذا يعني انه يحتاج الى اموال اكثر من غيره ليستطيع تدبير شؤونه العائلية والاجتماعية، لذلك يخصه الاب بحصة اكثر من باقي الورثة [٧٥].

وعدّت الشرائع العراقية القديمة إن رابطة الامومة رابطة مقدسة وفرضت على الابناء احترام وتبجيل امهاتهم وحرمت الاتصال بالام وعدّت ذلك عملا شاذا ويتناقض مع الطبيعة الانسانية والمعتقدات الاخلاقية [٧٦] ، لذا فرضت عقوبة قاسية ورادعة على الابن والام في حال حدث اتصال بينهما اذ جاء في نص مادة : **" اذا نام رجل بعد (وفاة) والده في حضن امه ، فعليهم ان يحرقوا كليهما"** [٧٧] ، ونلاحظ ان هذه المادة الزمت الابن والام احترام رابطة الامومة وفرضت على كلا الطرفين عقوبة الحرق بالنار جزاء لفعلتهم الشنيعة، وكذلك كان الهدف من هذه العقوبة ان يكونوا عبرة لغيرهم من اجل المحافظة على القيم والمبادئ الاخلاقية ، التي كانت سائدة في المجتمع العراقي القديم. كما حرم المشرع اتصال الاب بابنته وفي حالة وقوع ذلك فان الاب سوف يطرد من المدينة وهذا يعني فقدانه لعائلته ولكل ممتلكاته وحقوقه ومنها حق المواطنة[٧٨]، كما حرمت الشرائع على الابن الاتصال بمربيته التي انجبت اولادا من ابيه وكما جاء في نص المادة: **"اذا قبض على رجل بعد (وفاة) والده في حضن مربيته، الوالدة أولادا ، فيجب طرد هذا الرجل من بيت ابيه "** [٧٩] ، نلاحظ من هذا المادة ان المشرع حرم على الابن الاتصال بمربيته التي انجبت اخواناً له من أبيه والتي هي بمثابة امه وعدت هذا الابن عاق لابيه حتى بعد وفاته لان الوفاء للأب لا يقتصر على مدة حياته بل يمتد الى ما بعد وفاته ايضاً . لذا حكم المشرع على الابن بالطرد هنا يعني انه لايرث شيئا من تركة ابيه [٨٠] لانه ارتكب فعلاً محرماً وبسبب ذلك قد فقد جميع حقوقه في مال ابيه واصبح متشردا جزاء لفعلته الشنيعة .

وفي حالة ان الاب قرر ان يحرم احد ابنائه من الارث بعد مماته بسبب عقوق هذا الابن او لسبب اخر فان القضاء يتدخل اذ جاء في نص مادة: **"اذا قرر رجل إن يحرم ابنه من الارث ، وقال للقضاء ((اريد ان احرم ابني من الارث)) ، فعلى القضاة ان يدرسوا (سلوكه) ، فاذا لم يقترف الابن اثما كبيرا يستوجب حرمانه من الارث ، فلا (يحق) للوالد حرمانه ابنه من الارث "** [٨١] ان ذهاب الأب الى القضاء واعلانه لهم عن رغبته بحرمان ابنه من الارث من المؤكد ان هناك سببا ودافعا قويا جعل الاب يتخذ هذا القرار فقد يكون ارتكب فعلا وتصرفا شنيعا او انه كان متمردا على تعاليم واوامر ابيه مما جعل الأب ان يقرر حرمانه من الارث . حيث ان حجب الارث عن احد الابناء يمثل من اشد

العقوبات التي يفرضها الاب على الابناء العاقين لذلك لن يكون القرار اعتباطا او يتخذ بسهولة او في ساعة غضب او بتأثير من احد الزوجات ضد ابناء الزوجة الثانية لذا يجب اخذ الاسباب الموجبة امام المحكمة لاصدار قرار بحرمان الابن من التركة [٨٢] ، وعلى الرغم من سلطة الاب الواسعة على ابنائه الا ان المشرع قد قيد هذه السلطة فيما يخص حرمان الابن من ارث ابيه حيث ان قرار حرمان الابن من قبل ابيه ليس له اثر مالم يتم اضفاء الصفة القانونية [٨٣] ، وكانت المحكمة تطلب من الوالد ان يصفح عن ابنه اذا كان ارتكابه للذنب الذي اوجب حرمانه من الارث لاول مرة [٨٤] ، واذا ما تكرر الفعل الاثيم من قبل الابن فعندها يكون الحق للاب بحرمان ابنه من الارث حيث جاء ذلك في نص مادة : **" اذا اقترف (الابن) اثما كبيرا يستوجب حرمانه من الارث، عليهم ان يعفوا عنه لاول مرة ، و اذا اقترف اثما كبيرا للمرة الثانية ، يحق للوالد حرمان ابنه من الارث "** [٨٥] ، ان رغبة المشرع على حل هذا الاشكال لقضية حرمان الابن من الارث ربما على لاحلال السلم وان عدم اعطاء الارث قد يكون سبب للمشاكل والخلاف بين ابناء العائلة على تركة ابيهم بعد وفاته ، وكذلك حرمت الشرائع العراقية القديمة الابناء بالتعرض الى امهم والاساءة اليها بعد وفاة الاب من اجل اخراجها من البيت وفرضت عقوبات عليهم من قبل القضاء حيث جاء في نص مادة : **"اذا لم يعطها زوجها (أثناء حياته) هبة، فعليهم إن يعوضوها هديتها (التي جلبتها من بيت أبيها) ، ولها أن تأخذ حصة مثل واحد من الورثة من أموال بيت زوجها ، فاذا أساء ابناؤها معاملتها لاجل اخراجها من البيت ، فعلى القضاة أن يستقصوا (قضيتها) ويصدروا عقوبة على الابناء ، وهذه المراة لاتخرج من بيت زوجها ، (اما) اذا قررت تلك المرأة الخروج (من بيت زوجها) ، فعليها أن تترك الهبة التي منحها زوجها لها لابنائها ، ولها أن تأخذ هدية بيت ابيها ، ولها أن تختار الزوج الذي (يناسب) رغبتها "** [٨٦] ، وبعد وفاة الاب قد تحدث مشاكل واختلافات مابين الورثة بسبب تركة الاب المتوفي لذا اخذ المشرع هذا الامر بالحسبان وبين الحقوق القانونية للام و لابنائها ، كي لايدع مجال لحدوث مشاكل فيما بينهما كما حرص المشرع على حماية الام وضمان حقوقها المالية ، واذا ما حاول الابناء الاساءة لها من اجل اخراجها من البيت والاستيلاء عليه اذ خول المشرع القضاة ان يستقصوا عن قضيتها وعن معاملة ابنائها لها و اذا ما ثبت ان الابناء كانوا عاقين لامهم و اساءوا معاملتها فانهم سوف يكونوا تحت طائلة العقوبات القانونية . وكذلك حرمت الشرائع العراقية تجاوز الابناء على ابائهم والاعتداء عليهم بالضرب وفرضت عقوبات قاسية عليهم حيث ان يد الابن التي تمتد بالضرب على اباه سوف تقطع وحسب ما جاء في نص مادة: **"اذا ضرب ابن أباه ، فعليهم أن يقطعوا يده"** [٨٧] .

٢- الابناء من التبني: ان التبني للأبناء من التقاليد القانونية المقبولة والشائعة في العراق القديم اذ يعد حاجة اجتماعية شرعية تقتضيها مصلحة الناس [٨٨] ، وكان التبني يعني ايجاد البنوة بين رجل او امراة ، من ولد أو بنت ويتم ذلك من خلال عقد قانوني يدون فيه اتفاق الطرفين على العلاقة الجديدة حيث يدون في شروط العقد حقوق وواجبات الطرفين [٨٩] ، ويتعهد الاب المتبني بمعاملة الابن المتبنى كأبن طبيعي ويستحق الارث والحقوق الاخرى بعد وفاة ابيه المتبنى [٩٠] ، وفرض القانون على المتنبى الالتزام بكل فروض الابوة اللازمة والعناية بمتبنيه واعالته في شيخوته واذا ما صدر عنه مايسئ الى والده المتبني او اذا انكر ابوته فأنه يستحق العقوبة التي يقررها القانون [٩١] ، ومن أهم الأسباب الرئيسية التي تدفع الأشخاص لتبني أبناء هي لتوفير أبناء لمن لايستطيع الانجاب وايضا لتوفير الايدي العاملة والتي هم بحاجة اليها خاصة عند الاسر الفقيرة [٩٢] ، وكذلك يتم تبني الابناء لاسباب دينية فكما ذكرنا سابقا كانت للطقوس الدينية اهمية كبيرة فكان للأبناء دوراً في اجراء هذه المراسيم والطقوس بعد الوفاة اما الاشخاص الذين لم ينجبوا ابناء فانهم يلجؤون لتبني الاولاد لاداء هذه الطقوس الدينية وتقديمهم للقرابين بعد وفاتهم حيث جاء في احد عقود التبني يذكر فيه **" في حياتي سوف تطعمني وعندما اموت تقومين بأداء الطقوس الجنائزية لي"** [٩٣] .

وفي حالة تبني ابن وبعدها رفض المتبنى ان يعترف بوالديه الذين تبنياه وكان والد ووالدة المتبنى موظفين فان عقوبتة قطع لسانه الذي تكلم به بكلمات بذيئة مجحفة بحق والديه الذين ربياه [٩٤] ، حيث جاء ذلك في نص المادة : **" اذا قال ابن تابع القصر أو ابن حريم القصر (المتبنى) لابيه الذي رباه أو أمه التي ربته : " أنت لست والدي او انت لست والدتي"، عليهم أن يقطعوا لسانه "** [٩٥] ، فضلاً الى عقوبة قطع اللسان كانت هناك عقوبة حلق راس الابن العاق وبيعه كعبد في السوق فقد جاء في نص عقد تبني من العهد البابلي القديم يذكر فيه: **"طفلة صغيرة تدعى (ا) وتبناها (ش) و(ص) زوجته من امها (ن) (في المستقبل) اذا قالت (ا) الى (ش) اباها (ص) امها (انت لست ابي "(انت لست امي فسيحلقونها ويبيعوها .(واذا) قال (ش) ابوها و(ص) امها الى (ا) ابنتهما "انت لست ابنتنا "فسيخسرون البيت وبنوتها . وكل من يطالب ب (أ) سيدفع "منا " من الفضة "** [٩٦]. اما اذا قام الابن المتبنى بكره امه وابيه واساء معاملتهم ورجع الى بيت ابيه الاصلي فان عقوبتة قلع العين تكون جزاء لفعلته هذه وكما جاء في نص المادة : **" اذا وجد (اكتشف) ابن تابع القصر او ابن حريم القصر (المتبنى) بيت ابيه (الاصلي) ، وكره الوالد الذي رباه (تبناه) والام التي ربته (تبنته) وذهب الى بيت أبيه (الاصلي) ، فعليهم أن يقلعوا عينه "** [٩٧] ، كما ونجد في نصوص اخرى انه اذا قال الابن المتبنى لمربيه الذي أنشاه ، واحسن تربيته ، ...." **انت لست والدي "** فيحلق راسه ، يوصم بعلامة العبيد ويباع في سوق النخاسة اما اذا لم يعترف بامه التي تبنته وقال لها **" انت لست والدتي "** فيحلق نصف راسه ويطاف به في الشوارع ثم يطرد من بيت والديه المربين[٩٨] .

رابعا : بر الوالدين وعقوقهما في ادب العراق القديم

كان الادب في العراق القديم يشكل مظهرا ذا اهمية مميزة ضمن مظاهر تلك الحضارة العريقة اذ تعد النصوص المسمارية الادبية على جانب كبير من الاهمية ، كونها كانت مرآة صادقة تعكس الكثير من الاعراف والتقاليد والقيم الاخلاقية التي كانت سائدة في المجتمع العراقي القديم [٩٩]، ولقد وصلت الآداب في العراق القديم في بعض نواحيها الى درجة عالية من الإبداع الإنساني [١٠٠]، اذ عبرت عن الأحوال الاجتماعية الموجودة في المجتمع العراقي القديم بشكل واضح ، فكانت الطاعة في مجتمع العراق القديم هي الفضيلة الكبرى والدولة مبنية على الطاعة والخضوع للسلطة فلا عجب ان نرى ان الحياة الفاضلة في ارض الرافدين كانت هي الحياة المطيعة واقرب هذه السلطات كانت تتمثل بافراد اسرته حيث ابيه وامه و اخيه الاكبر و اخته الكبرى اذ نلاحظ ذلك من خلال النشيد التالي[١٠١] .

"يوم يحجم المرء عن السفاهة ازاء غيره، ويكرم الابن اباه،
يوم يبين الاحترام جليا في البلاد ، ويبجل صغير القدر الكبير،
يوم يحترم (؟) الاخ الصغير....اخاه الكبير ،
ويرشد الولد الاكبر الاصغر ويتمسك (الاخير) بقراراته"[١٠٢].

وقد كان على الابناء لزاما الانصات الى نصائح وتعاليم ابائهم حيث نلاحظ ذلك من خلال وصايا اب الى ابنه **" يابني اني اقدم لك هذا التعليم فتقبل تعليمي ، يازيوسيدرا اعر اذانا صاغية للكلام الذي ارغب في اعطائه لك ، لاتهمل تعليمي ، لاتخالف الكلام الذي اقدمه لك "** [١٠٣] ، كما نجد ان الاعراف والقيم الاخلاقية كانت تحث الابناء على ضرورة التمسك بتقاليد العائلة واهمية استجابتهم لنصائح ابائهم وطرق تربيتهم **"اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض"** [١٠٤] ، وتعد طاعة الوالدين اعلى مراتب الفضيلة ، لذا فقد حضيت الام بمنزلة سامية ومكانة رفيعة واعتبروا طاعتها بمثابة امر الهي يجب تنفيذه" **اطع كلام امك كانه امر الهي "** [١٠٥]. كما حث احد الحكماء الابناء ان يدخلوا السعادة في قلوب امهاتهم **" ارض بنصيبك واجعل امك سعيدة "** [١٠٦] . ونجد في اسطورة اينانا والثور الوحشي وكيف كانت انانا

تخشى ان تغضب امها " **ماهذا ايها الثور الوحشي علي ان اعود للبيت فخل سبيلي ماذا عساي ان اقول لامي. باي عذر ساتذرع لامي ننكال** " [١٠٧] ، كذلك يوجد نص ادبي عبارة عن رسالة موجهة من شخص الى امه وفيها يقدم بعض اوصاف امه للشخص الذي يحمل الرسالة ويعدد من خلالها الصفات والسمات الجميلة لأمه حتى يستطيع حامل الرسالة التعرف عليها من خلالها ويسلمها رسالة ابنها والتي يذكر فيها: **"امي مثل الضوء الساطع في الافق ، انها كانثى الضبي في الجبال ، انها كنجم الصباح الذي يسطع حتى في الظهيرة ، انها كالذهب والفضة ان امي كامطار السماء ، المياه التي تودي الى نمو افضل للبذور، أنَ امي كحديقة من السرور ، مليئة بالسعادة ، ان امي كشجرة النخيل المحملة باطيب الاثمار"** [١٠٨].

اذ نلاحظ من خلال هذه الاوصاف التي يقوم الابن بوصفها بطريقة شعرية رائعة يبين مدى تعلقه بامه وبره واحترامه الكبير لها اذ ينسب لها كل ما هو جميل في الطبيعة كما كان لعقوق الوالدين نصيبا في ادب العراق القديم حيث نجد ذلك من خلال النصوص الادبية والتي تناولت هذا الموضوع بكثير من الذم والازدراء وعدت ذلك من المعيبات ولا يمت للتقاليد والمثل الاخلاقية العراقية القديمة وهذه الافعال كانت منبوذة ومستهجنة في المجتمع الذي كانت فيه الفضيلة هي السمة الغالبة فيه ونلاحظ ذلك من خلال النصوص الادبية والحكم والامثال: **"عامل اله بعدم احترام، واهمل الهه... اهمل والده ووالدته عامل اخته الكبرى بعدم احترام ..."** [١٠٩].

وكان اهتمام الام بتربية ابنائها قد احتل موقع الصدارة بتركيبة المجتمع الصالح لهذا نجد ان العتب واللوم يلقيان على الولد العاق بشكل دعاء" **الطفل العاق ، ليت امه لم تلده وليت ربه لم يخلقه** " [١١٠] ، وفي حكمة تحث الابناء بعدم جلب لعنة ابائهم عليهم " **يابني ، لاتجلب عليك لعنة ابيك وامك، لئلاّ تحرم الفرح بنعم بنيك** " [١١١] ، ونلاحظ من خلال هذه الحكمة ان الحكيم يحث بالابناء على بر ابائهم وطاعتهم وعدم جلب غضبهم ولعنتهم عليهم والا فان ابنائهم من صلبهم سوف يعاملونهم بمثل معاملتهم لابنائهم ، وتشير احد الحكم ان الشاب الصغير السن لايقبل تاديب امه بسهولة بعكس الفتاة حيث تذكر: **"الفتاة الثرثارة تستطيع امها اسكاتها والشاب الثرثار لا تستطيع امه من اسكاته بشكل طيب"**[١١٢]. وتروي بعض الامثلة ماتعانيه الام من ابنائها الى درجة العقوق وعدم الاهتمام باعالتها " **الام التي تلد سبعة اطفال ، تمدد في فقر"** [١١٣] ، فعلى الرغم من انجاب الام لهذا العدد الكبير من الابناء ، فانهم لم يدفعوا عنها الفقر والحاجة واشارت احدى الحكم الى الابناء الذين يدمرون في ثورة غضبهم ممتلكات ابائهم دون اكتراث الى مغبة هذه الاعمال وانها تعود عليهم بالنهاية بالضرر حيث ذكر " **يدمر الابناء في غضبهم ممتلكات ابائهم ان كمن يضرب انفه نكاية في وجهه"**[١١٤].

ومن النوعيات العاقة الابناء المسرفين الذين يصبحون مصدرا للحزن والتعاسة لابائهم " **بزواجي من امراة مبذرة، وانجابي ابنا مسرفا ، يصبح الحزن ذخيرتي** " [١١٥] .

ومن ابلغ القصص التي تناولت عقوق الابناء اتجاه ابائهم في الادب العراقي القديم قصة احيقار الحكيم حيث قام بتبني ابن اخته (نادن) وجعله ولدا له وقدم اليه الحكمة والتربية الصالحة غير ان الربيب كان عاقا لابيه " **وما انقطعت عن تعليم ابني حتى اشبعته حكمة كما لو انني كنت اشبعه خبزا وماء . هكذا كنت اعلمه** " [١١٦] ، وذكر احقيار الحكيم قصة عقوق ابنه نادن حيث يقول: " **انا احيقار كاتب الملك سنحاريب وحامل اختامه تبنيَت (نادن) ابن اختي وعلمته الحكمة وتدبير الملك ليخلفني في خدمة اسرحدون بعد موت ابيه سنحاريب ولكن ابني نادن قال في نفسه: ساشي به عند اسرحدون وساقول له ان احيقار افسد الملك والرعية . عندما سمع اسرحدون قول نادن ارسل وراء (نابوسو مسكن) وقال له فتش عن احيقار واقتله...**" [١١٧]. واراد احيقار من ابنه المتبنى ان يكون عونا له ولكن الابن كان عاقا

وكاد ان يتسبب بمقتله حيث يذكر " **انك يابنيّ، اكدت صدق المثل القائل :إبنك هو الذي ولدته أنت، وابنك الذي اشتريته سمّه عبدك**"[١١٨]، وهنا يجد احيقار ان التبني لايجدي نفعا انما الابن الحقيقي هو الذي من صلبه والاخر فهو اقرب للعبد منه للابن.

الاستنتاجات :

١- اتسمت تربية الأبناء في العراق القديم بكثير من العطف والحب والحنان الذي كان يظهره الأبوين لأبنائهم في المجتمع العراقي القديم .

٢- كانت منزلة الوالدين تأتي بعد منزلة الالهة وطاعتهما تعد واجب مقدس .

٣- ان رعاية الاباء والاهتمام بهم عندما يتقدم بهم العمر وإقامة الشعائر الجنائزية بعد وفاتهم من أهم الأسباب التي كانت تدفعهم الى التبني .

٤- ان كثرة الأبناء بالنسبة للاباء له فائدة اقتصادية ومعنوية في حياتهم وفائدة دينية بعد وفاتهم من خلال أداء الشعائر الجنائزية .

٥- ان الشرائع العراقية القديمة أوجبت احترام وطاعة الوالدين في حياتهما وكذلك أوجبت احترام وصيتهما بعد وفاتهما .

٦- ان الأبناء ملزمين باحترام وطاعة ابائهم قانونياً ومهما كانت النتائج المترتبة على تلك الطاعة كبيعهم او رهنهم من قبل ابائهم .

٧-كان المجتمع العراقي القديم مبني على أسس احترام المبادئ الاجتماعية والقيم الأخلاقية لذا فان المشرع منع كل ما يمكن ان يمس هذه الصفات الحسنة مثل تجاوز الابناء على ابنائهم او استغلال الاباء لابنائهم .

٨- حرمت الشرائع العراقية اي اعتداء او اسائة للأبناء بحق أبائهم بالقول او بالفعل .

٩- نظرا لأهمية الاسرة في المجتمع العراقي القديم والسعي في الحفاظ عليها فان المشرع تدخل حتى في القضايا العائلية الخاصة كمنع احد الابناء من الإرث او تفضيل احد الابناء على بقية اخوته .

١٠- أجمعت النصوص الادبية العراقية القديمة على ضرورة بر الابناء لابائهم واحترامهم وطاعتهم من خلال الأساطير والحكم والأمثال الأدبية .

١١- كان الأدب العراقي القديم ينظر لعقوق الوالدين بازدراء ويعده من المعيبات التي لا تليق بالأبناء .

الهوامش والمصادر

١- صلاح سلمان رميض ،ادب الحكمة في وادي الرافدين ، مراجعة فاضل عبد الواحد ، دار الشؤون الثقافية العامة،ط١، (بغداد ، ٢٠٠٠)،ص٢٣٤.

٢- حسين ظاهر حمود، مكانة الاولاد في المجتمع العراقي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ،(كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩١) ص.١٠٠.

٣- انيس فريحة ، احيقار حكيم من الشرق الادنى القديم ،(بيروت ،١٩٦٢)،ص٧٣.

٤- صموئيل نوح كريمر ، السومريون تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة فيصل الوائلي ،(الكويت ، ١٩٧٣) ،ص٣٥٠.

٥- عبد الهادي الفوادي ، بحث في الامثال العراقية ، مجلة سومر، مجلد ،٢٩، ١٩٧٣، ص٩٠

٦- صلاح سلمان رميض ، ادب الحكمة ،ص١٠٤.

٧- لقاء جليل عيسى ،نظام الارث ، رسالة ماجستير غير منشورة ،(كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٢)،ص٦٦.

٨- توركليد جاكبسون واخرون، ماقبل الفلسفة –الانسان في مغامرته الفكرية الاولى، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، الموسسة العربية للدراسات والنشر ،ط٢، (بيروت ،١٩٨٠)ص٢٤٢.

٩- نابونائيد: اخر ملوك بابل (٥٥٦-٥٣٩ق م) وهو ابن احد كاهنات معبد الاله سين وقد حاءت به احد العشائر الى الحكم نتيجة الصراع الدائر مابين رجال الدين ينظر: جان دي شايي ـ ريموند بلوش ، دليل حضارات الشرق الادنى القديم ، ترجمة سهى محمد حسن ،دار الجواهري للنشر ، ط١،(دمشق ، ٢٠١٣) ،ص٢٥١.

١٠- جورج بوييه شمار، المسوولية الجزائية في الاداب الاشورية والبابلية ،ترجمة سليم الصويص، دار الرشيد ،(بغداد،١٩٨١)،ص٢٣٤.

١١- عبد الرضا الطعان ، الفكر السياسي في العراق القديم ،(بغداد ، ١٩٨١)، ص١٧٧

١٢- االمصدر نفسه والصفحة نفسها .

١٣- بهيجة خليل اسماعيل ،" الكتابة" ،حضارة العراق ، ج١،(بغداد ، ١٩٨٥)،ص٢٢١.

١٤- طه باقر، مقدمة في ادب العراق القديم ،دار الحرية للطباعة،(بغداد ، ١٩٧٦)،ص١٦٠.

١٥- صلاح سلمان رميض ، ادب الحكمة ،ص٩٧.

١٦- هاري ساكز ، الحياة اليومية في العراق القديم ، (بلاد بابل واشور) ترجمة كاظم سعد الدين ،(بغداد ،٢٠٠٠)،ص١١٦.

١٧- كريمر ،السومريون ، ص٣٤٩.

١٨- المصدر نفسه ، ص٣٥٠.

١٩- فاضل عبد الواحد علي ، من الواح سومر الى التوراة ،ط١، (بغداد ، ١٩٨٩)،ص٣٧٤.

٢٠- فاضل عبد الواحد علي ، سومر اسطورة وملحمة،ط٢،دار الشوؤون الثقافية العامة،(بغداد ، ٢٠٠٠)،ص٢٧٠.

٢١- فون زودن ، مدخل الى حضارات الشرق القديم ، ترجمة فاروق اسماعيل ، (دمشق ، ٢٠٠٣)،ص٢٢٠.

٢٢- نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ط٢،(بغداد ،١٩٨٦)،ص٩٣.

٢٣- دانيال دي بوتس ، حضارة وادي الرافدين الاسس المادية ،ط١، ترجمة كاظم سعد الدين ،(بغداد ، ٢٠٠٦)،ص٣٢١.

٢٤- نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت،ص٢٨٢.

٢٥- جورج كونتينيو ، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة ،سليم طه التكريتي،(بغداد ،١٩٨٦)،ص٤٩٣.

26- Bayliss,Miranda:The calt of Dead kin Assyria and Babyionia,Iraq ,vol,35,1973,p.116.

٢٧- حكمت بشير الاسود ، ادب الرثاء في بلاد الرافدين ،ط١ ،(دمشق ،٢٠٠٨)، ص ص١٧٤-١٧٥.

٢٨- هاري ساكز، الحياة اليومية ، ص٣١٠.

٢٩- فراس السواح ،مدخل الى نصوص الشرق القديم،منشورات دار علاء الدين ،ط١،(دمشق،٢٠٠٦)،ص٢١٦.

٣٠- جان بوتيرو، ديانة البابلين ،ترجمة وليد الجادر، مركز الانماء الحضاري ،(حلب، ٢٠٠٥)،ص١٣٠.

٣١- دانيال دي بوتس، حضارة وادي الرافدين،ص٣٢٢.

٣٢- حكمت بشير الاسود ، ادب الرثاء ،ص٢٢.

٣٣- نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت ،ص ص٣٠٠.

٣٤- فون زودن ، مدخل الى حضارات الشرق ،ص٢٢٠.

٣٥- كريمر ، السومريون ،ص٣٠٠.

٣٦- حكمت بشير الاسود ، ادب الرثاء ،ص١٧٦.

٣٧- مرغريت روثن ، علوم البابلين ، ، ترجمة يوسف حبي ، دار الرشيد ، بغداد،١٩٨٠،ص٥٣.

٣٨- جان بوتيرو، ديانة البابلين،ص١٣٠.

٣٩- نائل حنون ،عقائد مابعد الموت، ص١٤٥.

40- Bayliss,Miranda:The calt of Dead kin Assyria and Babyionia,Iraq ,vol,35,1973,p.17.

٤١- قاضل عبد الواحد علي، الادب، حضارة العراق ، ج١، بغداد ،١٩٨٥،ص٣٥٢.

٤٢- دانيال دي بوتس، حضارة وادي الرافدين ،ص٣٥٢-٣٢٦.

٤٣- نائل جنون ، عقائد ما بعد الموت ،ص٢٧٥.

٤٤- جورج بوييه شمار،المسؤولية الجزائية،ص٢٣٢.

٤٥- نائل حنون ، عقائد مابعد الموت،ص٢٨٣.

٤٦- المصدر نفسه،ص٢٨٤.

٤٧- جفري بارندر ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة امام عبد الفتاح ، مطبعة مدبولي للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٦،ص٤٩.

٤٨- انطوان مورتكارت، تاريخ الشرق الادنى القديم ، تعريب توفيق سليمان ، ب ت ، ص٧٥

٤٩- نائل حنون ، عقائد مابعد الموت ،ص١٢٧.

٥٠- المصدر نفسه،ص٢٧٩.

٥١- حسين ظاهر حمود ، مكانة الاولاد، ص٣٣.

٥٢- احمد امين سليم ، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم (مصر والعراق) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٣،ص٣٠٠.

٥٣- صلاح سلمان رميض ، ادب الحكمة ،ص١٠٥.

٥٤- عامر سليمان ، الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية ،المدينة والحياة المدنية ، ج١، (بغداد ، ١٩٨٨)،ص١٩٨-٢٠٠.

٥٥- لقاء جليل عيسى ، نظام الارث، ص٦٢.

٥٦- حسين ظاهر حمود ، مكانة الاولاد ، ص٦٢.

٥٧- لكش: كانت من اشهر دول المدن التي قامت بدور بارز في تاريخ حضارة وادي الرافدين وتقع الان بالقرب من نهر الغراف مابين دجلة والفرات ينظر: طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط١،دار الوراق للنشر، (بيروت ، ٢٠٠٩)،ص٣٠٠.

٥٨- وليد الجادر ، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتاخر (النساجون والنسيج) مطبعة الاديب البغدادية ، (بغداد ١٩٧٢)،ص٤٣.

٥٩- المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٦٠- ستروف ، بعض المعلومات الجديدة عن تنظيم العمل والكيان الاجتماعي في سومر اثناء حكم سلالة اور الثالثة ،ترجمة سليم طه التكريتي، العراق القديم ،(بغداد ،١٩٧٦)، ص٢٠٤.

٦١- ثلمستيان عقراوي ، المراة ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ، دار الحرية ، (بغداد ، ١٩٧٨)،ص١١٩

٦٢- المصدر نفسه ،ص١٥٨.

63- Finkelstein ,J,JAmmisaduqa ,s Edict and The Babylonian ,Law Cods ,Jcs ,vol ,15,No.3,1961,p.96.

٦٤- طه باقر ، مقدمة في ادب العراق ، ص١٥٩.

٦٥- حسين ظاهر حمود ، مكانة الاولاد ،ص١٦٣.

٦٦- هورست كلينكل ، حمورابي البابلي وعصره ، ط١، ١٩٩٠، دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر، سوريا ، ص١٠٣.

٦٧- ديلا بورت ، بلاد مابين النهرين حضارة بابل واشور، تعريب مارون خوري ، بيروت ، ب ت، ص٧٦.

٦٨- صالح حسين الرويح ، العبيد في العراق القديم ،(بغداد ، ١٩٧٦)،ص٥٥.

٦٩- حسين ظاهر حمود ، مكانة الاولاد ،ص١٧٦-١٧٧.

٧٠- احمد امين سليم ، ، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم (مصر والعراق) ،ص٣٢

٧١- رضا جواد الهاشمي ، القانون والاحوال الشخصية ، حضارة العراق ، ج٢ ،(بغداد ، ١٩٨٥)،ص٨٦. حسين ظاهر حمود ، مكانة الاولاد ،ص١٦٠.

٧٢- حسين ظااهر حمود ، مكانة الاولاد ، ص١٤٥.

٧٣- فوزي رشيد ،الشرائع العراقية القديمة ، ط٣ ، دار الشؤون الثقافية العامة ،(بغداد ، ١٩٨٧)،ص١٥٨

٧٤- المادة (٣١) من قانون لبت عشتار.

٧٥- رضا جواد الهاشمي ، نظام العائلة في العهد البابلي القديم ،(بغداد ، ١٩٧٠)،ص ص١٤٧-١٤٨.

٧٦- رضا الهاشمي ، نظام العائلة ، ص١٣٩.

٧٧- المادة(١٥٧) من قانون حمورابي

٧٨- رضا الهاشمي ، نظام العائلة ص١٣٦.

٧٩- المادة (١٥٨) من قانون حمورابي.

٨٠- رضا الهاشمي ، القانون والاحوال الشخصية ،ص١٠٢.

٨١- المادة (١٦٨) من قانون حمورابي.

٨٢- رضا الهاشمي ، القانون والاحوال الشخصية ،٢،ص١٠١.

٨٣- لقاء جليل عيسى ، نظام الارث ،ص٧٣.

٨٤- رضا الهاشمي ، القانون والاحوال الشخصية، ص١٠٢.

٨٥- المادة (١٦٩) من قانون حمورابي.

٨٦- المادة (١٧٢) من قانون حمورابي.

٨٧- المادة (١٩٥) من قانون حمورابي.
٨٨- فاضل عبد الواحد وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ،(بغداد ، ١٩٧٩)،ص٧٤-٧٥.
٨٩- رضا الهاشمي ، نظام العائلة ،ص١٧٦.
٩٠- حكمت بشير الاسود ، مبدا التبني في العراق القديم ، مجلة سومر، مجلد ٤٤، ١٩٨٥-١٩٨٦،ص٧٧.
٩١- رضا الهاشمي ، نظام العائلة، ص١٨٢.
٩٢- عامر سليمان ، القانون في العراق القديم دراسة تاريخية قانونية مقارنة ، ط٢ ، (بغداد ،١٩٨٧)،ص٢٩٦.
93- Bayliss,M,The calt of Dead .lraq,vol .35.1973.p120.
٩٤- كلين هورست ، حمورابي،ص٢٢٨.
٩٥- المادة (١٩٢) من قانون حمورابي.
٩٦- عامر سليمان ،القانون في العراق ، ص١٢٥.
٩٧- المادة (١٩٣) من قانون حمورابي.
٩٨- فوزي رشيد ، الشرائع العراقية ، ص١٧٥.
٩٩- قاضل عبد الواحد علي، الادب،ص٣٢١.
١٠٠- احمد امين سليم ، دراسات في حضارة الشرق الادنى القديم العرق – ايران ، دار المعرفة الجامعية ،(الاسكندرية ،١٩٩٢)،ص٦١ .
١٠١- تورکليد جاكبسون واخرون ، ماقبل الفلسفة ،ص٢٣٩.
١٠٢- المصدر نفسه ، ص٢٣٩.
١٠٣- كريمر،السومريون،ص٣٢١.
١٠٤- غريغوس بولس بهنام ، احيقار الحكيم ،(بغداد ،١٩٧٦)،ص١٤٥.
١٠٥- هاري ساكز، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ،(الموصل ،١٩٧٩)،ص٤٨٥.
١٠٦- احمد امين سليم ،، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم (مصر والعراق) ، ص٣٢٧.
١٠٧- طه باقر، الادب ،ص١٩٦.
١٠٨- احمد امين، ، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم (مصر والعراق) ، ص ص٣٢٧-٣٢٨.
١٠٩- هاري ساكز ،عظمة بابل، ص٣٥٧.
١١٠- صلاح سلمان رميض ، ادب الحكمة، ص١٠٠.
١١١- سهيل قاشا ، حكمة احقيار واثرها في الكتاب المقدس ، دار المشرق ،ط١،(بيروت ،١٩٩٦)،ص١٨.
١١٢- احمد امين، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم (مصر والعراق) ، ص٣٠٨
١١٣- المصدر نفسه ص٣٢٨.
١١٤- المصدر نفسه ص٣٠٧.
١١٥- ثلمستيان عقراوي ، المراو ومكانتها، ص٤٧.
١١٦- انيس فريحة ، احقيار حكيم من الشرق ، ص٦٧-٦٨.
١١٧- المصدر نفسه ، ص٢٢.
١١٨- سهيل قاشا ، حكمة احقيار ،ص٣٣.